التشبيه والاستعارة في شروح السيد عبد الله شبر الأدبية

الأستاذ الدكتور
مزاحم مطر حسين
الباحثة
نور سلمان ناصر المحنه
جامعة القادسية ـ كلية التربية
nnn.sss.nnn2014@gmail.com

The analogy and metaphor in the literary commentaries of Mr. Abdullah Shubr

Prof. Dr.
mzahm mutar hussain
Researcher
Noor Salman Nasser Al-Mahna
Al-Qadisiyah University - College of Education

الملخص:-

علم البيان هو احد الفنون البلاغية التي استعان بها الشارح باعتبارها وسيله لكشف المعنى وله القوة في فك ما استغلق في النص الادبي وهذا البحث يسلط الضوء على كيفية استثمار الشارح في شروحه الادبية المتمثلة ((بنص الزيارة الجامعة، نص خطبة فاطمة الزهراء J ونصوص نهج البلاغة)) لأجل توجيه المعنى وعلى ذلك قسم البحث على مبحثين تناولت في المبحث الاول بعضاً مما تطرق اليه الشارح من توجيهاته المستند فيها على فن التشبيه وفي المبحث الثاني الاستعارة معتمد في ذلك على مصادر كثيرة في مقدمتها كتب البلاغة.

الكلمات المفتاحية: السيد عبد الله شبر، التشبيه، الاستعارة.

ABSTRACT:

The science of the statement is one of the rhetorical arts that the commentator used as a means to reveal the meaning and has the power to decipher what was closed in the literary text. This research sheds light on the How to invest the commentator in his literary explanations represented ((in the text of the university visit، the text of a sermon Fatima al-Zahra (peace be upon her) And the texts of Nahj al-Balaghah) for the sake of directing the meaning and accordingly the research section is on Two topics In the first topic، I dealt with some of what the explainer touched on from His directives are based on the art of simile، and in the second topic، metaphorIt is based on many sources، including the books of rhetoric.

Key words: Mr. Abdullah Shubar - simile - metaphor.

ـ علم البيان:

وهو العلم الذي يعرف بأنّه ((إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه))[١]، وقد استعان الشارح بهذا الفهم في توجيه المعنى لبعض النّصوص التي تستدعي إبراز الفنون البيانية المتمثلة في الشروح، من التشبيه والاستعارة.

ـ التشبيه:

هو أحد فنون علم البيان، تناوله العديد من علماء البلاغة بالدراسة، والبحث، والتدقيق، وعُرّفَ على أنّه: ((اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشي نفسه))[٢] بينهما أداة، ويصلح أحدهما أن يكون بمكان الآخر[٣] بمعنى من معاني أحد الموصوفين[٤] بشرط أن يكون بين الأمرين أو الموصوفين تشابه وافتراق[٥]، أي: إنّ عملية التشبيه تجري بين ركنَين: المشبه والمشبه به، وهناك رابطٌ بينهما يكون بصفة من صفات المشبّه لا بجميع صفاته؛ لأنّ التوافق التام بينهما يجعلهما واحداً، ويفقد بذلك التشبيه جماليته التي من أجلها وُضع، أي إنّ ((صفة الشيء بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته))[٦]، إذ لا شك أنّ المتشابهات مهما تقاربت فلا بد من وجود اختلاف ما بينهما ((لأنّ الأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه))[٧].

ويوجب هذا الفن لمنتج النّص أن يمتلك ((مقدرة ومهارة تؤهلهُ لربط الصور التشبيهية لأجل تقريب المعنى من ذهن المتلقي))[٨]، لما له من القدرة على إظهار الفكرة وتقديمها بطريقة جمالية؛ لأنّ المبدع أو منتج النّص لا يقصد التشبيه بوصفه أداءً بيانياً فحسب بل أداة ضرورية توصل المعنى المقصود من جميع الوجوه، وعلى ذلك فقد تناول الشارح في شروحه فن التشبيه لأجل فهم النّص، وإزالة الخفاء ببيان المعنى الذي يكمن خلف النّص، فاتبع طرق مغايرة في توظيف هذا الفن، فمرة نراه يعمد إلى تحليل بنية التشبيه مع بيان أركانه، وتارة يبيّن نوع التشبيه الوارد في النّص الأدبي معتمداً على بيان طرفَي التشبيه، وقد يصرّح بنوعه مع إيراد التحليل الملازم له، وقد يستحسن الصورة التشبيهية، فنجده مثلاً في شرحه لنص من نصوص سيد البلغاء a : ﴿وَيَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ﴾[٩] يشرح النص قائلاً: ((شبّهَ ورودَ النّاسِ إليهِ وازدحامَهمْ عليه ومحبَّتَهمْ لَهُ بازدحامِ الإبلِ على الماء))[١٠].

إذ بين الشارح ركنَي التشبيه الواردَين في النص؛ فذكر المشبه (ورود النّاس)، والمشبه به

(الإبل العطاش)، ويمكن أن نستخلص من شرحه وجه الشبه، وهو (الازدحام)، ونوع التشبيه الوارد (تشبيه بليغ)، إلّا أنّه لم يصرّح بنوعه مكتفياً بتوجيهه توجيهاً بلاغياً، متكئاً على فن التشبيه، وفي نفس سياق الخطبة قوله: ((ويحزُونَ الأرباحَ في متجرِ عبادَته ويتبادرُونَ عنْدَهُ موعدَ مغفرَته))[١١] بيّن المعنى قائلاً: ((شبَّهَ a العبادَةَ بالبضاعة التي يتجرُ بها فالتاجرُ هو النّفسُ ورأسُ المَالِ هو العقلُ ووجوهُ تصرفاته وحركاته وسكناته الحسّية والعقلية المطلوبةِ منهُ بالأوامرِ الشرعيّةِ والأرباحِ الحسنة))[١٢].

إذ شبه a الحجَّ بالتجارة، وشبه الحُجّاج بالتجّار، والربح هو الجنّة والخلاص من النّار، وهو من التشبيه البليغ الذي لم ينصْ عليه الشارح كمصطلح أو بوصفه نوعاً من أنواع التشبيه إلّا أنّه اكتفى ببيان الصور التشبيهية محاولاً في ذلك تقريب فهم الدرس الذي قدّمه لنا أمير المؤمنين a ، ومن المواضع التي أشار فيها إلى الصور التشبيهية هو نص فاطمة الزهراء J عندما شبّهت فدك بالنّاقة بقولها: ((فدونكما مخطُومَةٌ مرحُولَةٌ))[١٣]، إذ يقول الشارح موضحاً: ((شبَّهتْ J فدكَ في كونها مسلمة لهُ لا يعارضُها في أخذِها أحدٌ بالنّاقة المنقادة المهيأ للرُّكوب))[١٤].

ففي النّص تشبيه ضمني يعرّف بأنّه ((ما جاء المشبّه والمشبّه به في صورتي جملتين بشكل تنتج منه علاقة التشبيه ضمنياً))[١٥]، وعلى الرّغم من عدم ذكره لهذا التشبيه إلّا أنّه أزاح الغموض عن النّص باستنتاج المشبه والمشبه به، ونظير ذلك في شرحه لإحدى وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن K في قوله: ((فتكُونُ كالصَّعبِ النّفور))[١٦]، فيعلق الشارح بقوله: ((أي كالبَعيرِ الصَّعب الذي لا يمكنُ راكباً وهو مَعَ ذلكَ نفورٌ عَنْ الأنْسِ ووجْهُ الشبهِ أنّهُ حينئذٍ يعسرُ حملُهُ على الحقِّ وجذبَه إليه كما يعسرُ وقودُ الجملِ الصَّعب))[١٧].

فمرجعية الشارح المعرفية مكّنته من بيان أركان التشبيه الواردة في النّص، وقد ينبه إلى أداة التشبيه، ويفصح عنها، على نحو ما رأيناه في شرح نص الإمام علي a : ((وكأن قَدْ نَزَلَ بِكُمْ المَخُوفُ))[١٨]، إذ نجده يشرح النّص قائلاً: ((كأن مخففة للتشبيه واسمُها ضميرُ الشَّأن، والمقصودُ تشبيهُ حالهم وشأنهم الحاضر بحالِ نزولِ المَخُوفِ وهو الموتُ بحكمِ وتحققه في حقّهم الذي يلزمُه ويترتبُ عليه عدمُ نيلهم للرَّجعةِ وإقالتهم للعثرة))[١٩].

وهكذا تابع الشارحُ رصدَ التشبيهاتِ الواردةِ مدركاً أهمّيتها في توجيه المعنى، من ذلك

شرح ((أقوّمكُم غدوةً وترْجعُونَ إليّ عشيةً كظهرِ الحنيةِ))[٢٠]، تنبّه إلى وجودِ المشبّه والمشبّه به والأداة دون تسميتها بـ (أداة التشبيه) بل اكتفى بإعادة النّص بوجود الأداة مع تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه؛ فاعتبر حالَهم وسماعَهم للموعظةِ المشبّه، وهو عقلي، و(ظهر القوس) المشبه به، وهو أمر حسّي دون ذكر وجه الشبه[٢١]، والذي هو الاعوجاج؛ فإيضاح الصورة التشبيهية هي الغاية لدى الشارح؛ لكي لا يبقى إبهام أو غموض يلبس اللفظ.

وفي بعضِ المواضع قد يكونُ ذكرُ العلاقةِ الرابطة بين المشبّه والمشبّه به أداة مساعدة في توجيه المعنى وإزالة الغموض، نحو شرح نص الإمام علي a : ((ويثيرُونَ الأرضَ بأقْدامِهم كأنّها أقدامُ أنعامٍ))[٢٢]، والنّص في معرض خطاب الإمام علي a للأحنف بن قيس يخبره فيه عن الملاحم التي تجري بالبصرة، فيبين الشارح معنى النّص قائلا: ((قيلَ إنّ أقدامَهم في الأغلبِ قصارٌ عراضٌ منتشرةُ الصدورِ مفرقاتُ الأصابع فهي مِنْ عرضِها لا يتبينُ لها طولٌ فأشبَهَتْ أقدامَ النِّعَامِ في بعضِ تلكِ الأوصافِ))[٢٣]، فشبه a حال الطرف المواجه المقابل لهم (الزنج)، وهم يثيرون بأقدامهم كأقدام الأنعام لقصرها، فأولى الشارح للنّص العناية الواضحة؛ لكي لا تلبس المعاني على المتلقي، فاستخرج المشبّه ثمّ المشبّه به، بعدها عرج على بيان وجه الشبه بين (أقدام القوم)، و(أقدام الأنعام)؛ لجملة من الأوصاف (قصار، عراض، منشرة الصدور، مفرقات الأصابع).

والتشبيه هنا ما سمّاه البلاغيون بالتشبيه المجمل؛ لكون الأداة ذكرت مع حذف المشبه؛ فالشبه من وجهة نظر الشارح وسيلة إبلاغية تعينه على تحديد المعنى، ففي شرح نص الإمام علي a عندما تحدث عن أهوال الدنيا ((أناخَتْ بكلالِهَا وانْصرمَتْ الدُّنيا بأهلِها وأخْرجتم من حضنها فكانت كيومٍ مضَى وشهرٍ انْقَضَى وصارَ جديدُها رثاً وَسميتَهَا غثاً))[٢٤]. إذ يقول في شرحها: ((لّما كانت الأفعال في قوله (أناخت) إلى هنا معطوفةً بعضَها على بعضٍ دخلَتْ في حكمِ التشبيه، أي كأنّ الدُّنيا انصرفَت بأهلِها وكأنّكم قَدْ أخرَجْتُم من حضنِها إلى الآخرةِ، والمشبّهُ الأوّلُ هو الدُّنيَا باعتبارِها لها الحاضرةٌ، والمشبّهُ بِه انصرافُها بأهلِها، وزوالُهم، ووجْهُ الشبهِ سرعةُ المَشي، أي كأنّها مِنْ سرعة أحوالها الحاضرة كالتي وقَعَ انصرافُها، وكذا الوجهُ في باقي التشبيهات))[٢٥].

إذا تأمّلنا شرح الشارح فإنّنا نجده قد شرَحَ النّص بطريقة مزج فيها النّحو والبلاغة،

الأمر الذي يعكس تمرسه بفنون البلاغة، واطّلاعه على أساليبها وامتلاكه لخزين ثقافي موسوعي مكّنه من الإفاضة في الشرح والتعليل؛ لأجل الوصول إلى أدق المعاني، وأعمقها، أمّا في بعض المواضع فقد أشار إلى نوع التشبيه الوارد باعتبار طرفَي التشبيه موظفاً إيّاه بفهم النّص، وعندما ننظرُ إلى شرح نص الإمام علي a : ((حت الورق مِنَ الشّجَرِ))[٢٦]. فأشار a إلى أمر الصلاة الروحي وعملها باعتبارها ممحاة للذنوب؛ إذ يقول: ((شبيهٌ للمعقُولِ بالمحْسُوسِ ووجْهُ الشَّبهِ ظاهرٌ))[٢٧]. إذ يضمرُ لنا تعليق الشارح وعيه وقدرته الإدراكية الفطنة لطرفَي التشبيه؛ إذ إنّ بنية التشبيه البليغ انعقدت بين (أمر الصلاة وعملها)، وبين (حث الورق من الشجر)، أمّا وجهُ الشبهِ من وجهة نظر الشارح فواضحٌ أنّه لا يحتاج منه الإسهاب والتفصيل باعتبار أنّ ذكر طرفَي التشبيه يحقق وضوحاً، فإضافة إلى توظيف الشارح التشبيه المعقول للمحسوس و نراه يوظّف التشبيه التمثيلي الذي يعرف على أنّه ((ما تعددت فيه أطراف الصورة أي ما كان فيه المشبه متعدداً في صورته وكذا المشبه به بحيث يرد وجه الشبه أو يستوحى من تأمّل عناصر متعددة فيرد صورة منتزعة من متعدد))[٢٨]، وهذا ما يتمثل في شرح قول الإمام علي a : ((ويَذْرِي الرّوايات إذراءَ الرّيحِ الهشيمِ))[٢٩]، فبيّن الشارح المعنى قائلاً: ((وفيهِ تشبيهٌ تمثيليّ ووجْهُ الشبهِ صدورُ فعلٍ بلا رويةٍ وتعبيرِ نفعٍ وفائدةٍ فكذا هذا الرَّجل المتصفّح للرّوايات بلا بصيرة ولا روية في تصفّحها ولا سطور يوجّه العمل يمر على روايةٍ بعدَ أُخْرَى ويجْني عليها من غير فائدةٍ وانتفاعٍ كما أنّ الرِّيح التي تذري الهشيمَ لا سطورَ لها بفعلِها ولا يعودُ إليها من ذلكَ نفعٌ ولا فائدةٌ))[٣٠]، وهو تشبيه تمثيلي؛ كونه a شبّه الرجل غير الكفوء والمتخبّط برأيه عندما يتصفح الروايات يتصفحها دون روية ولا فائدة؛ لنقصان عقله؛ فوجهُ الشبه في النّص هو (عدم الفائدة) التي هي هيئة انتزعها منتج النّص من أحوال الشخص المتخبط، ومن أحوال الرياح الذواري غير النافعة؛ فتوظيف الشارح للتشبيه لأجل بيان النّص، مع إبراز قوة مبدع النّص في استعمال هذا الفن، وجعل المعنى أرسخ وأعمق في ذهن المتلقي، خاصة وأنّ النّفوس تأنس وتألف إلى الصور التي تتطلب التأمّل، وعمق التفكر من أجل الربط بين الصور التشبيهية وتنفر من التعبير المباشر أو الصريح الذي يفقد الباعث الجمالي في النّص[٣١].

وأمّا استحسانه للصورة التشبيهية فقد رأيناه في شرحه لقول أمير المؤمنين a في ذم الدنيا والتنفير عنها: ((أمّا بعد فإنّ الدنيا قَدْ أدبَرَتْ وأذنَتْ بودائع))[٣٢]، يعقب على النص قائلاً:

((أي أعلمت به إشارةً إلى تقصّي أحوالها بالنّسبة إلى كل فردٍ من الخلق من صحة وشبابٍ وجاهٍ وحالٍ وكل ما يكون سبباً لصلاح حال الإنسان فإنَّ جميعَ ذلكَ مِنْ الدّنيا لدنوها من الإنسان وحسنِ إطلاق اسم الأدبار عليها لتقضيها شيئاً فشيئاً تشبيهاً للحيوان في إدباره))[٣٣].

فعيّن الشارح الصورة التشبيهية لأجل فهم النّص، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ عبارة (وحسن إطلاق لفظ الأدبار) يوحي بمراعاة الشارح للتناسب أو الربط الذي يجب أن يكون بين المشبه والمشبه به، كما ينص عليه البلاغيون بالذهاب إلى أنّ ((أحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما))[٣٤]، وهذا يعكس لنا وعي الشارح واطّلاعه على شرط التناسب بين ركنَي التشبيه في أحد صفاته؛ لذلك استحسن إطلاق لفظ(الأدبار)، وقد تكرر هذا الصنيع من لدن الشارح في مواضع متعددة من الشروح[٣٥].

ـ الاستعارة:

هي أحد فنون علم البيان أولاها البلاغيون العناية الواضحة، وتعرف بأنّها ذكر ((تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن نفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعتبره المشبه وتجريه عليه))[٣٦].

وعُرّفت أيضاً بأنّها حذف((أحد طرفَي التشبيه وتريد الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[٣٧]، بمعنى أنّ الاستعارة تقوم على المشابهة مع تجاوز ذكر أحد طرفَي التشبيه، والاقتصار على أحدهما، وإنزال الطرف المذكور منزلة المحذوف، واتحادهما، وهذا الاتحاد يجعلها أبلغ من التشبيه، وقد شكّلت حضوراً واسعاً وملحوظاً في شروح الشارح، بوصفها آلية تعينه على تحقيق ما يصبو إليه، وهو إيصال المعنى بأقرب الطرق، لذلك أولاها العناية الواضحة من التحليل والشرح محاولاً في ذلك تقريب الفهم إلى المتلقي، ومدركاً الدور الذي تقوم به في تقديم المعنى، وفي توظيفه لهذا الفن اتبع عدة طرق، منها الإشارة إلى الفن الاستعاري مع بيان الركن المتلاشي منه، وقد يبيّن نوع الاستعارة الواردة في النّص ويلتفت في بعضها إلى الغرض الذي من أجله وردت الاستعارة، فضلًا عن ذلك نراه في بعض النّصوص يستحسن الصورة الاستعارية، ولم يغب عن ذهنه مفهوم خروج الاستعارة عن أصل اللغة موظفاً إياها مع تقديم التحليل الملازم لها وهذا ما يتبين لنا بصورة أوضح في النّصوص التي وقف

عندها، ففي شرحه لقول الإمام علي a في بيان صفة خلق آدم: ((ثمّ نَفَخَ فيها مِنْ رُوحِه))[٣٨]، تنبّه الشارح إلى وجود الاستعارة موضحاً إياها بقوله: ((استعارَ وصفَ النفخِ لإفاضةِ النَّفْسِ على البدنِ، واشتعالِ نورِها المعقولِ كمَا يشعلُ النّارَ نافخُها))[٣٩].

فالنّظرة العميقة لشرح الشارح تعكس وجهة نظره المستقرة في ذهنه عن الاستعارة من أنّها قائمة على المشابهة؛ إذ إنّ المعنى تمّ عن طريق ذكر المشبه (الصورة التي خُلق بها الإنسان)، وإخفاء المستعار له (النّار) مع ذكر لازمة من لوازمه، وهي (النّفخ) على سبيل الاستعارة المكنية؛ فإخراج الركن الخفي المتلاشي في الصورة الاستعارية يعين الشارح على بلوغ المعنى في ذهن المتلقي.

ويواصل الشارح بيان الصورة الاستعارية الواردة في النّص الأدبي من قول الإمام علي a : ((ونُورُها بَهْجَةٌ))[٤٠]، ويعلق قائلاً: ((استعارة؛ إذ لّما كانَ إشراقُ نورِها عظيماً جداً نسبةً إلى نورِ الباري، ولَيسَ هناكَ بهجةٌ على الحقيقة؛ لأنّ البهجةَ حسنُ الخلقِ قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[٤١] مِنْ كُل صنفٍ حَسنٍ))[٤٢]، إذ يوضح المعنى المجازي المتمثل بالاستعارة مع الاستناد على مرجعيته القرآنية التي مكنته من إيراد نصٍّ قرآني زاد المعنى وضوحاً وتثبيتاً في ذهن المتلقي، وقد توجهه مرجعيته في إثبات ما ذهب إليه على أحاديث أهل البيت d على نحو ما ألفيناه في شرح لقول علي الهادي عندما شبّه أهل البيت d بنجوم الليل ((وَمصَابيحُ الدُّجَى))[٤٣]، فوضّح المعنى قائلاً: ((وقَدْ يعبّر بالمصباحِ القوّة العاملَة والحركات الفكرية الشبيهة بالمصباح كما يقال: أضاءَ مصباحُ الهُدَى في قلْبِهِ والمرادُ هُنَا هم d هادُون للخلقِ في ظلمةِ الشّرْكِ والكُفْرِ والضلالة والجهلِ إلى نورِ الإيمانِ والطّاعةِ والعلْمِ))[٤٤]، ففي النّص استعارة مكنية لم يصرّح بها إلّا أنّه استوفى المعنى ثمّ عزز ما ذهب إليه من تشبيه أهل البيت d بالمصباح بجامع الهداية بأمثلة تمنح النّص قوة؛ إذ يقول: ((عَنْ أبي جعفر a في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾[٤٥] فكان رسولُ الله i المنذر لكلِّ زمانٍ هُنَا وهادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيُ الله i ثمّ الهداةُ مِنْ بَعْدِهِ عليّ ثمّ الأوصياءُ واحدٌ بعد واحد))[٤٦]، وقد يطلق الشارح على المعقول لفظ (المتخيل)، نحو شرحه لنص الامام علي a ((فَيوشكُ أنْ تنساكم دواجي ظلْمه))[٤٧]، يعلق الشارح قائلاً: ((أي مظللاتُ سَحَابة جمعِ ظلّة وهيَ السحابةُ استعارَ لفظَ الظلِّ

للأمراضِ والعللِ الدّاعيةِ إلى الموتِ استعارة المحْسُوسِ بالبصرِ للمتخيّلِ ملاحظة لشبهها بالسّحاب المُظل واصفاً لها بالدّواجي إذ كانَ الكلامُ في معرضِ التخويف، والسحابُ المظلمُ أشدُّ رهبةً في القلوبِ قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ﴾[٤٨] وهو شرُوع التخويفِ بنزولِ الموتِ))[٤٩].

فحقق الشارحُ المعنى عن طريق بيان الصورة الاستعارية التي تجسّدت بين المتخيل، وهو (المرض)، وبين المحسوس وهو (الضلال) مع إبراز قدرة منتج النّص على اختيار اللفظ المناسب المحقق للغرض المقصود باعتبار ان الاستعارة ((ليست مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخيلي في اللغة بل هي عملية تقوم على الاستبدال والتحويل في بنية اللغة فتعطي للخطاب قوة دلالية تأثيرية تهدف إلى إحداث تغيير في المواقف الفكرية والعاطفية للمتلقي))[٥٠].

ويتابع الشارح في شرحه للنّصوص الأدبية على بيان أركان الصورة الاستعارية مع بيان الغرض من وراء استجلاب منتج النّص لهذا الفن، ففي شرحه لعبارة الإمام علي a عند انصرافه من صفين: ((نومُهُمْ سهودٌ وكحلُهُم دمُوعٌ))[٥١] يبين الشارح المعنى قائلاً: ((بالغَ a في وصفِهم بقلّةِ النّومِ لخوفِ الحربِ وهجومِ بعضِهم على بعضٍ وشدّةِ اهتمامِهم بأمرِ القتالِ وحيرتهم في تيهِ الباطلِ حتى ألحق قلّةَ نومِهم بالسّهدِ لاستلزامهم عدمِ النّوم، واستعارَ له لفظةَ (صيّره) هو هو، وقوله: (وكحلُهُمْ دموعٌ) مبالغة في تشبيهِ دموعِهمْ بالكحلِ أو جعله هو هو وجه الشبه. إنّ الدموع لكبرائه منهم، وملازمته أجفانهم أشبه في ذلك الأمرِ الكثيرِ المعتادِ لعيونِهم وهو الكحل))[٥٢]، فوجد أنّ الغرضَ من وراءِ انعقاد المشابهة بين المستعار والمستعار له لأجل تحقيق غرض المبالغة، إضافة إلى ذلك قد يستحسن الصور الاستعارية الواردة في بعض النّصوص الأدبية بطريقة أقرب إلى الفهم، وهذا ما تمثّل في شرح إحدى عبارات الإمام علي a في اصطفاء الأنبياء من ولد آدم d : ((ويثيرُون لَهُم دفائنَ العقُول))[٥٣] يزيح الشارح الغموض عن النّص قائلاً: ((واستعمالُ الدفائنِ استعارةٌ إذ لّما كانَتْ جواهرُ العقولِ ونتائجُ الأفكارِ موجودةً في النّفُوسِ بالقوّةِ أشبهتْ الدفائنَ؛ فحسُن استعارةُ لفظ الدفينة لها، ولّما كانَ الأنبياءُ هم الأصلُ في استخراج تلك الجواهر لإعداد النّفُوس لإظهارها حسن إضافة إثارتها إليها))[٥٤].

فالملاحظ أنّ هناك مقياساً احتكم إليه الشارح في استحسانه للصورة الاستعارية، هي قيمة التفاعل بين المشبه والمشبه به باعتبار أنّ الأنبياء d يثيرون ما أودعه الله في العقول من

دفائن، وجواهر، فوضح الشارح الاستعارة بما يلائمها من التحليل والتعليل لأجل تقديم المعنى بطريقة أفصح وأيسر، ونظير ذلك شرحه لقوله a : ((لسقيتُ آخرَها بكأسِ أوّلها))[٥٥]، إذ شرع ببيان الصورة الاستعارية بطريقة أقرب إلى أذهان المتلقين بقوله: ((استعارَ لفظَ السَّقي للتّركِ المذكورِ أيضاً -الخلاف- ورسّخَ تلك الاستعارةَ بذكرِ الكأسِ، ووجْهُ الاستعارةِ أنّ السقيَ بالكأسِ لّما كانَ مستلزماً لوجودِ السّكرِ غالباً وكانَ إعراضُه أوّلاً مستلزماً لوقوعِ النّاسِ فيها ذكر منَ الطّخيةِ العمياءِ المستلزمةِ لحيرةٍ كثيرٍ من الخَلْقِ وضلالِهم الذي يشبه السّكرَ وأشدّ منه لا جرمَ حسن أن يعيرَ لذلك التّركَ بسقي الكأسِ))[٥٦].

فالحس النّقدي والبلاغي كان حاضراً في تحليله للنّص، فبعد أن بيّن الاستعارة، ووضح أركانها سلط رأيه النّقدي عليها بقوله: ((لا جرمَ حسنَ أنْ يعيرَ))، مع بيان قدرة منتج النّص على إقامة التناسب بين المستعار له والمستعار منه، وصف الاستعارة المكنية غير المصرح بها إلّا أنّ قوله: ((استعار ثم كنّى)) عبارة واضحة لا غبار عليها من أنّ المقصود استعارة مكنية، ومن الاستعارة المكنية التي بدت واضحة هو قول الإمام علي a الى العباس بن الأحنف عندما تمّت البيعة لأبي بكر وينهى فيها الإمام عن الفتنه التي ستقع بين الصفوف المسلمين: ((أيّها النّاس شُقّوا أمواجَ الفتنِ بسُفُنِ النّجاة)[٥٧]، إذ بين المعنى قائلاً: ((شبّهَ a الفتنةَ بالبَحْرِ المتلاطم ولذا استعارَ له لفظَ الأمواج وكنّى بهَا عن حركاتِ الفتنِ وقيامها ووجْهُ الشّبَهِ اشتراكُ البحرِ والفتنةِ عندَ هيجانهما في هلاكِ الخائضِ فيهما واستعارة سفن النّجاة لكلِّ ما يكونُ وسيلةً إلى الخَلاصِ من الفتنةِ من مهاونةٍ أو حيلةٍ أو صبرٍ ووجْهُ الشبهِ كون كل منهما سبباً للسلامة))[٥٨].

بين الشارحُ أنّ في النص استعارة مكنية متمثلة في (الأمواج)، و(النّجاة)؛ إذ يعير لفظ (الأمواج)، وهو معنًى حسّي لـ (الفتن)، وهو أمر معنوي واضطراب هذه الفتن شبيه بأمواج البحرِ فحذف المشبه به (المستعار له)، وأبقى لازمة من لوازمه (الأمواج)، وبذلك اتحد المعنى في المشبه كله وهو الفتنة، والاستعارة التي وردت على سبيل الاستعارة المكنية، فقضية ذكر أحد أركان الاستعارة وحذف الآخر لا يتعلق ((بعملية إحلال بقدر ما يتصل بعملية تفاعل))[٥٩]، وفي بعض النّصوص وظف الاستعارة المرشحة، على نحو ما نجده في شرحه لنص الإمام علي a : ((إذا ارتوَى من ماءٍ آجن متغير))[٦٠]، يقول الشارح معلقاً على النّص: ((استعارة للجهلِ والاعتقاداتِ الفاسدة التي تشبه الماء الآجن الذي لا غناءَ فيه

للشاربِ بل يضرّه، كما يُستعار للعلومِ الحقّة الماءُ الصافي والزلالُ ورشّح تلكَ الاستعارة بذكرِ الارتواءِ إشارة إلى التملي منها))[٦١]، إذ بيّن قصدية الصورة الاستعارية بإيراد ما يناسبها من التحليل والاتكاء على الاستعارة المرشحة التي تتحقق عندما يكون بين المستعار له والمستعار منه ترابط وصلة وثيقة[٦٢]، وقد لا يبني شرحه على بيان الصورة الاستعارية ويكتفي بحمله على الاستعارة البليغة، كما في شرحه لعبارة السيدة الزهراء J في وصف جهاد أمير المؤمنين في إطفاء نار المشركين: ((فلا يَنْكَفئ حتى يطأ صماخَها بأخمَصِهِ ويحتدُّ لهيبَها بسيفِهِ))[٦٣].

يقول الشارح: ((أي بماءِ سيفِهِ وهو استعارةٌ بليغةٌ))[٦٤]، إذ إنّه لم يشرْ إلى الجانبِ الخفي المتلاشي في الصورة الاستعارية بل اكتفى بحمله على الاستعارة البليغة.

أمّا مفهوم خروج الاستعارة عن أصل اللغة فقد تجلى في شرح قول الإمام علي a : ((ووراءَ ذلكَ الترجيح تستكُّ منه الأسماعُ سبحات نورٍ تردعُ الأبصارَ))[٦٥] فشرح النّص قائلاً: ((وهو في الأصْلِ الزلزلةُ والاضطرابُ واستُعيرَ هنا لعبادةِ الملائكةِ واضطرابِهم من سطوةِ اللهِ ورسّخَه بقوله (تستك) أي تصم وتسد))[٦٦].

فإيراد الشارح أصل اللفظة يعني أنّه مستوعباً ما قاله البلاغيون من القول بأنّ الاستعارة ((تعليق العبارة على غير ما وصفت له في أصل اللغة على جهة النّقل للإبانة))[٦٧]، وتكرر صنيع الشارح في نخبة الشرحين في مواضع أخرى[٦٨].

الخاتمة:

حاول الشارح السيد عبد الله شبر في شروحه الأدبية توجيه المعنى من خلال الاتكاء على الفنون البلاغية المتمثلة بـ (التشبيه والاستعارة) ولأن تلك النصوص تحمل - في الغالب - درر من جواهر البلاغة فلا بدمن الاستناد عليها في فك ما استغلق من معان إلا ان طرق الاستعانة في شرحه لم تسر على وتيرة واحده فمرة يكتفي بالإشارة الى الفن البلاغي وأخرى يغوص في التحليل البلاغي لبنية التشبيه او الاستعارة والملائم لسياق النص وقد نجده يشير الى نوع التشبيه او الاستعارة الواردة في النص الأدبي وهذا ينم عن مقدرة معرفية واسعة يمتلكها الشارح.

هوامش البحث

(١) الإيضاح:٢٢٠

(٢) الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١٢٥

(٣) ينظر: الصناعتين: ٢٤٥.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة: ٨٧.

(٥) ينظر: نقد الشعر:١٢٤.

(٦) العمدة: ١ / ٢٨٦.

(٧) الكامل:٢\٣٥٨.

(٨) أسلوبية النثر الصوفي في كتاب المواقف والمخاطبات للنفري (ت: ٣٥٤ هـ)، أمجد محمد شكر البياتي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب الجامعة المستنصرية،٢٠١٣: ٣٤.

(٩) نخبة الشرحين: ١ / ٧٦.

(١٠) المصدر نفسه: ١ / ٧٦.

(١١) نخبة الشرحين: ١ / ٧٨.

(١٢) المصدر نفسه: ١ / ٧٨.

(١٣) كشف المحجة: ١٠٩.

(١٤) المصدر نفسه: ١١٠.

(١٥) أسلوبية البيان العربي (من أفق القواعد المعيارية الى افاق النص الإبداعي): ٥٩.

(١٦) نخبة الشرحين: ٤ / ١٥٧٨.

(١٧) المصدر نفسه: ٤ / ١٥٧٨.

(١٨) المصدر نفسه: ٣ / ١٣٥٦.

(١٩) المصدر نفسه: ٣ / ١٣٥٦.

(٢٠) المصدر نفسه: ٢ / ٦١٣.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٦١٣.

(٢٢) نخبة الشرحين: ٢ / ٧٩٥.

(٢٣) المصدر نفسه: ٢ / ٧٩٥.

(٢٤) المصدر نفسه: ٣ / ١٣٥٢.

(٢٥) نخبة الشرحين: ٣ / ١٣٥٢.

(٢٦) المصدر نفسه: ٣ / ١١٥١.

(٢٧) المصدر نفسه: ٣ / ١١٥١.

(٢٨) أسلوبية البيان العربي (من أفق القواعد المعيارية الى افاق النص الابداعي): ٥٩.

(٢٩) نخبة الشرحين: ١ / ١٧١.
(٣٠) المصدر نفسه: ١ / ١٧١.
(٣١) ينظر: أسرار البلاغة: ٩٣.
(٣٢) نخبة الشرحين: ١ / ٢٢٧.
(٣٣) نخبة الشرحين: ١ / ٢٢٧.
(٣٤) نقد الشعر: ٥٥.
(٣٥) ينظر: نخبة الشرحين: ٢ / ٥٩٦ – ٥٩٧، ٨٥٠، و ٣ / ١١٥١، ١٤٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٩.
(٣٦) دلائل الإعجاز: ٦٧ .
(٣٧) مفتاح العلوم: ٤٧٧.
(٣٨) نخبة الشرحين: ١ / ٥٠.
(٣٩) المصدر نفسه: ١ / ٥٠.
(٤٠) نخبة الشرحين: ٣ / ١٠٨٥.
(٤١) ق: ٧.
(٤٢) نخبة الشرحين: ٣ / ١٠٨٥.
(٤٣) الأنوار اللامعة: ٥٢.
(٤٤) المصدر نفسه: ٥٢.
(٤٥) الرعد: ٧.
(٤٦) الأنوار اللامعة: ٥٢.
(٤٧) نخبة الشرحين: ٣ / ١٢٦٣.
(٤٨) لقمان: ٣٢.
(٤٩) نخبة الشرحين: ٣ / ١٢٦٣.
(٥٠) البنية الحجاجية في موسوعة الغدير للأميني الشعر أنموذجاً، عصام جبار منصور المالكي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب الجامعة المستنصرية ٢٠١٩: ١٩٨.
(٥١) نخبة الشرحين: ١ / ٨٨.
(٥٢) المصدر نفسه: ١ / ٨٩.
(٥٣) المصدر نفسه: ١ / ٦٠.
(٥٤) المصدر نفسه: ١ / ٦٠.
(٥٥) نخبة الشرحين: ١ / ١٢١.
(٥٦) المصدر نفسه: ١ / ١٢١.
(٥٧) المصدر نفسه: ١ / ١٣٢.
(٥٨) نخبة الشرحين: ١ / ١٣٢.

(٥٩) بلاغة الخطاب وعلم النّص: ١٥٣

(٦٠) نخبة الشرحين: ١ / ١٦٨.

(٦١) المصدر نفسه: ١ / ١٦٨.

(٦٢) ينظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١١/١، وخزانة الأدب وغاية الأرب:١/١١١-١١٢.

(٦٣) كشف المحجة: ٨٦.

(٦٤) المصدر نفسه: ٨٦.

(٦٥) نخبة الشرحين: ١ / ٥٤٧.

(٦٦) المصدر نفسه: ١ / ٥٤٧.

(٦٧) النّكت في إعجاز القرآن: ٧٩.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم.

١- اسرار البلاغة، تاليف الشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلقة عليه ابو فهر، محمود محمد شاكر، دار المدني، ط ١، ١٩٩١.

٢- اسلوبية البيان العربي من افق القواعد المعيارية الى افاق النص الابداعي، د. رحمن غركان، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، ط ١. ٢٠٠٨.

٣- الانوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة للعلامة المرحوم السيد عبد الله شبر، تحقيق فاضل الفراتي، علاء الكاظمي، تعليق وتصحيح فاضل الفراتي، ط ١، ٢٠٠٥، مطبعة الكوثر الناشر عاشوراء.

٤- الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين ابو عبد الله محمد المعروف بالخطيب القزويني، شرح وتحقيق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني، بيروت لبنان، ط ٣،١٩٧١.

٥- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل عالم المعرفة اشراف احمد مشاري العدواني، ١٩٩٢.

٦- دلائل الاعجاز تاليف الشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.

٧- الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي.

٨- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، مراجعة محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١،١٩٩٥.

٩- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقدة، تاليف ابي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.

١٠- كشف المحجة في شرح خطبة اللمة، شرح خطبة فامه الزهراء J العلامة الكبير والمحدث الشهير السيد عبد الله شبر، تحقيق الشيخ علي الاسدي، مكتبة فدك لاحياء التراث، ط١،٢٠٠٧.

١١- مفتاح العلوم السكاكي ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

١٢-نخبة الشرحين في شرح نهج البلاغة للعلامة السيد عبد الله شبر، ط ١، مطبعة النهضة،٢٠٠٤.

١٣- نقد الشعر لابي الفرج قدامه ابن جعفر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٤-النكت في اعجاز القران (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران)، ابو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق وتعليق محمد احمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط ٢، ١٩٦٨.

- **الرسائل والأطاريح الجامعية**

١- أسلوبية النثر الصوفي في كتاب المواقف والمخاطبات للنثري اطروحة دكتوراه امجد محمد شكر البياتي، اشراف الاستاذ الدكتور فائز هاتو الشرع، كلية الآداب الجامعة المستنصرية،٢٠١٣.

٢- البنية الحجاجية في موسوعة الغدير للأميني الشعر انموذجاً، اطروحة دكتوراه عصام جبار منصور المالكي، اشراف الاستاذ الدكتور عبد الباقي بدر ناصر الخزرجي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ٢٠١٩.